ياسمين إبراهيم

حكاية كل يوم

١

إنها السابعة والنصف مساء ولا يوجد أحد غيري في المكتب. المكان مظلم هادئ، فقط إضاءة جهاز الكمبيوتر الذي أمامي. غارقا في أفكاري وأحلامي التي لم ولن أحقق منها شيئًا.. فكيف لي وأنا لست حر نفسي، محاصر ما بين المتوقع مني والمفروض علي: لحظة أتمنى أن يعود بي الزمن لوقت بلا قيود ولا متطلبات، ولحظة أخرى أكون ممتنًا لما حققته حتى الآن. أوقات أرى في أعين الشباب نظرة إعجاب قد تصل إلى الانبهار فيغمرني إحساس بالنشوة والفخر الذي قد يصل إلى حد الغرور. لكن هذا الإحساس يدوم بضع دقائق فقط ليحل محله الفراغ وانعدام الهوية.. كأني غريب بداخل هذا الجسد، عاجز مقهور، فيصبح أي شيء بلا لون وبلا معنى.

صار هذا الوقت من اليوم هو ملاذي الوحيد للهروب من حياة ليست حياتي، فهنا أعيش حياة في خيالي خالية من شوائب المفروضات والقيود." يدق جرس الهاتف مقاطعًا تفكير وليد، إنها نهى زوجته. لو سمعت وليد يتحدث عن زوجته ستعتقد حتما أنه لا يكن لها أي مشاعر،

ولكن العكس هو الصحيح، فوليد يحب زوجته كثيرًا. نعم يحبها لكن كل ما يعرفه وليد عن الحب هو أن يكون مخلصًا لزوجته ويأتيها بالمال مع كل بداية شهر. يتردد وليد في الرد، يعلم أنه إذا رد على الهاتف سيكون هذا نهاية وقته المفضل من اليوم. لكنه يقرر أن يرد وفعلا تذكره نهى بزيارة أصدقائهم لهم الليلة، وأردفت قائلة: "حاجة نحلي بيها بعد العشا". يلملم أشياءه بملل متجها إلى السيارة.

٢

ترتب نهى المنزل وهي تشجب نصيبها، فقد كانت من أجمل وأذكى فتيات الجامعة. وقعت في حب وليد الشاب الوسيم عازف الجيتار وكاتب الأغاني الذي كان محل إعجاب الفتيات ولكنه اختارها هي. مازالت تذكر دقات قلبها عندما أخبرها أنه يريد أن يتزوجها.. لكن مع مرور الوقت واستمرار الروتين اليومي تغير كل هذا فأصبح وليد بليدًا متكاسلا يترك لها القرار في كل شيء هروبًا من المسؤولية، فكل شيء يقع على عاتقها من البيت والأولاد، حتى أبسط الطلبات لا يستجيب لها. تنظر إلى انعكاسها في المرآة وتفكر: من هذه المرأة؟ فقد تغيرت كثيرا، فقط آثار من الجمال ممزوج بترهلات الزمن. تشعر بالألم الذي أصبح جزءًا من روحها، تتناسى أحيانا لكنه هناك، فهي لم تفقد جمالها فقط، إنما فقدت كينونتها فلقد استسلمت لواقع ترفضه تبخرت كما تبخر طموحها وأحلامها. أحلامها التي لا تتذكر منها شيئًا. جلست وعيناها مغرورقتان بالدموع.

يدخل وليد البيت ويداه خاويتان، تسأله نهي: "فين اللي طلبته منك؟" ويجيبها بعذر كالمعتاد، لكنها لم تعره انتباهًا، فقد كانت شاردة تفكر كيف كانت ستكون حياتها لو لم تتزوج وليد. لقد تخلت عن أحلامها من أجله أو هذا ما أقنعت نفسها به، اعتبرت أنها محظوظة لأن زوجها يحبها واكتفت بهذا الحب ليكون "وجودها". تنظر إليه وهو يغير ملابسه، فما زالت تحب النظر إلى

عضلات ذراعيه وتسأله: "وليد انت لسه بتحبني؟"، وبدون أن يلتفت إليها يجيب: "طبعا يا حبيبتي".. مستغربا أنها لم تؤنبه على ما قد نسيه، فقد اعتاد أنها تؤنبه على كل شيء لا يسير وفقًا للمخطط الذي أعدته، يفكر: كيف تحولت من هذا "اللغز الجميل الجذاب" إلى معلمة وأم.. حتى معه. يدق جرس الباب وتذهب نهى لاستقبال صديقتها سارة وزوجها كريم، بينما وليد يكمل ارتداء ملابسه. يرحبون بعضهما بالآخر وتدعوهم نهى إلى غرفة المعيشة. يتبادلان الحديث المعتاد عن حال صغيرهما بينما تراقب أعين نهى أناقة وإشراقة سارة، التي تبتسم وتضحك كأن قلبها لم يتطرق إليه الحزن أو الألم. وعيناها يملؤهما الإصرار والحياة.

يأتي وليد مرحبا بهما، تذهب نهى لتحضير دواعي الضيافة وترافقها سارة، تاركتين كريم ووليد يثرثران. يلاحظ كريم الجيتار خلف الكرسي الذي يجلس عليه وليد فيبدي إعجابه به ويتساءل: من في المنزل يستطيع العزف عليه. ينظر وليد إلى الجيتار مبتسما كأنه يشاهد فيلمًا سينمائيًا عن أحلى لحظات حياته.. يتنهد باشتياق ويخبره كيف كان حلمه هو الموسيقى وتأليف الأغاني، لكن مع التزامات الزواج تخلى عن هذا الحلم. تدخل نهى وسارة. وتستشعر سارة التوتر في الحديث، فهي تعلم كم هو موضوع حساس في حياتهما، فكثيرًا كانت نهى تشتكي من المشاكل المادية التي يواجهانها وكانت تلوم الجيتار والموسيقى. لكن قبل أن تتفوه بالكلام لتنقذ الموقف يسأل كريم مستغربًا: ما هي علاقة الموسيقى بالالتزامات الزوجية. وهنا تقاطعه نهى بتحفز واستياء كأن أحدًا

يحاول أن يعكر صفو حياتها البائسة التي لا تعلم غيرها، مبررة أن معنى أن العائلة والمنزل يأتيان أولا يجب أن نتخلى عن أي شيء آخر، فهذا ما تربت عليه. غافلة عن أثر هذا على حياتهم، فإنهم لم يتخلوا عن أحلامهم بل تخلوا عن ذاتهم فأصبح لا يجود لديهم ما يقدمون.

تغير سارة مجرى الحديث أخيرًا.. أو هكذا تعتقد، فتخبرهم عن قبول جامعة "كاليفورنيا" رسالة الدكتوراة وأنها ستقضي سنتين في الخارج. يندهش نهى ووليد لذلك ويطرحان الكثير من الأسئلة عن العوائق أو "ما يظنان" أنها عوائق.. مثل "عمل كريم والولاد" و"هتسافري لوحدك إزاي؟" وهكذا، لكن يجيب كريم ممسكا بيد زوجته بأنهما قاما بترتيب كل شيء وأنها فرصة له هو أيضا ليمارس شغفه بالسيارت بطريقة احترافية. وبينما يجيب كريم على تساؤلاتهما تنظر له سارة والفخر والامتنان يملآن عينيها.. كأنها تقول أنا امرأتك. توقظ هذه النظرات ما تم نسيانه بداخل كلٍ من نهى ووليد.. تجعلهما يدركان أن ما يعيشانه كل يوم لا يجب أن تكون عليه الحياة.

يمضي الوقت ويأتي موعد الرحيل. يودعان بعضهما ويذهب كريم وسارة تاركين هذا المنزل الخاوي من الحياة. تدخل نهى إلى غرفة النوم لتجد وليد على الفراش متظاهرًا بالنوم.. تغمض عينيها ويغمض عينيه ويدور في رأسيهما نفس السؤال الذي لا يجرؤ أحدهما على قوله بصوت مرتفع: "لماذا هما سعداء ونحن لا؟"